



ملف العدد

تاريخ الكيف وأسباب انحصار زراعته بمنطقة "صنهاجة سراير"

* د. سعيد البوزيدي

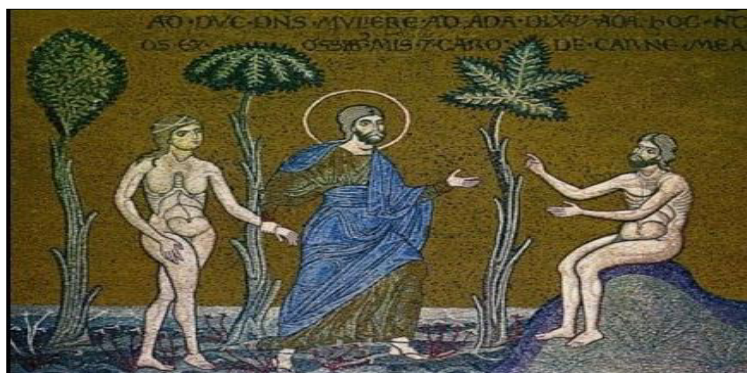
أستاذ باحث في التاريخ/ كلية الآداب والعلوم الانسانية- القنيطرة

تنتمي نبتة الكيف إلى فصيلة كنباس ساتيفة من النوع الهندي، وتنمو مع مطلع فصل الربيع في المناطق الرطبة والمعتدلة، يستمر نموها فصلين كاملين إذ يتم جمع المحصول في نهاية الصيف وبداية الخريف، وتتكون نبتة الكيف من جذور غير عميقة يكفي أن تكون مغطاة تحت التراب، ومنها يخرج البرعم الذي يكون النواة الأولى للجذع الذي يصل طوله إلى أزيد من مترين ونصف، يحيط الجزء الصلب منه نسيج من الخيوط، وعلى طوله تتفرغ أغصان صغيرة، ويغطي الجزء الأعلى من كل الأغصان أوراق مسطحة الشكل، وتنمو بجانبها رؤوس مكدسة مزهرية يطلق عليها الفلاحون اسم "العيون"، وهي التي تستعمل في التدخين واستخراج المواد المنشطة. فنبته الكيف هي في الأصل مؤنث، غير أنها تحتاج إلى مذكر ينمو بجانبها إلى حدود مرحلة متقدمة، ليبدأ في إفراز حيوانات منوية تنتقل إلى الأنثى لتلقيحها.



الكيف في الحضارات الشرقية القديمة

تعتبر نبتة الكيف من أقدم النباتات التي اهتم بها الإنسان، إذ أن الصينيون كانوا أول من تنبه إلى الدور الغذائي لحبة الكيف منذ ما يقرب من 80.000 سنة قبل الميلاد، ثم تطور استعمالها إلى استخراج مادة الخيط من أغصانها، إلى جانب هذه الاستعمالات عمد الصينيون إلى استغلالها في صناعة الأسلحة، إذ أنهم اكتشفوا أن قوس الرماية المصنوعة من أغصان الكيف أكثر ليونة وصلابة من القصب، الشيء الذي دفع بالباطرة الصينيين إلى تخصيص بعض أراضي الدولة، لإنتاج الكيف قصد صناعة الأدوات الحربية، كما كان الصينيون أيضا أول من استخراج الورق من نبتة الكيف، وكانت البداية تقتصر على إحراقها في المعابد وأثناء المآتم الجنائزية، وحرص الصينيون على الحفاظ على سر استخراج الورق من نبتة الكيف إلى حدود القرن الخامس قبل الميلاد، لتنتقل بعد ذلك إلى اليابان ومنها إلى الشرق الأوسط. إلى جانب هذه الاستعمالات عمد الصينيون إلى استغلال نبات الكيف في صناعة الأدوية، حيث كانت توضع أوراق الكيف الخضراء على الجراح من أجل تلحمها. كما كانت حبات الكيف تدخل بدورها في تحضير مجموعة من الأدوية الطبية، وكذا في مجموعة من الوجبات الغذائية.



صورة 1: الكيف النبتة التي خرجت من الجنة مع بداية الخلق



الكيف في الحضارة اليونانية والرومانية

انتقلت نبتة الكيف من الصين إلى المناطق المجاورة، في اتجاه شبه الجزيرة الهندية وآسيا الوسطى، ومع هجمات الشعوب الهندو-أوربية في اتجاه أوروبا الغربية انتقلت معهم هذه النبتة، إذ يشير هوميروس خلال القرن الخامس ق. م في الإلياذة، إلى أن "هيلين" عمدت إلى تحضير مشروب منشط من النبات لزوجها، ساعده على الخروج من الكآبة والحزن الذي كان منغمسا فيه. وانتشرت زراعة الكيف في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال توسعات الرومان، حتى أن الإمبراطور "غاليوس" خلال القرن الثالث الميلادي، نصح باستعمال الكيف لضمان السعادة والحيوية.



صورة 2: الربة Areine تهدي حلوة من الكيف للاله Bacchus Dionysos ليلة الزفاف

وكان الرومان يمتلكون حقولا شاسعة من الكيف في جبال الألب الإيطالية وبلاد غاليا. وتعددت استعمالاته لتشمل ميادين صناعة الألبسة وسقوف البنايات، وكذا بعض المواد الغذائية واستخراج بعض الأدوية، وبذلك أصبحت هذه المادة مثل باقي المواد الحيوية التي كانت روما تستوردها من باقي ولاياتها في حوض البحر الأبيض المتوسط، بيد أنه مع انتشار المسيحية في أوروبا الغربية عمدت الكنيسة الكاثوليكية إلى تحريم المواد المستخرجة من نبتة الكيف، سواء في الطقوس الدينية أو لتحضير المواد الغذائية، الأمر الذي دفع بأباطرة العهد الروماني إلى فرض نوع



من الرقابة على زراعة واستعمال الكيف في مجموعة الولايات الرومانية، إلا بالحصول على ترخيص من طرف الإمبراطور.

الكيف ومساهمته في النهضة الأوروبية

استرجعت زراعة الكيف مكانتها مع بداية القرون الوسطى ومرحلة توحيد أوروبا الغربية في عهد "شارلمان"، قصد النهوض بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعيش عليها أوروبا خلال هذه الفترة، وساهمت الكنيسة في استرجاع هذه المكانة بإصدارها لمراسيم تتيح استعمال الكيف، من أجل إنتاج الورق والزيت وكذا في تحضير الأدوية. وفي سنة 1455 طبع كوتنبورغ Guttembourg أول إنجيل على الورق المستخرج من الكيف، الشيء الذي شجع على إعادة انتشار هذه النبتة في أوروبا الغربية، مما سمح بخلق مجموعة من المانيفاككتورات الصناعية المرتبطة من أجل إنتاج القنب والورق والأقمشة، ما بين القرن السادس عشر والسابع عشر ميلادي.



صورة 3: الاستغلال الواسع للكيف بمزارع أوروبا مع مطلع القرن العشرين



وننتج عن هذه التطورات الصناعية بأوروبا الغربية، أن دخلت هذه الأخيرة في مغامرة الكشوفات الجغرافية الكبرى، إذ انطلق كريستوف كولومبوس في اتجاه أمريكا سنة 1492 وشرع سفينه وحبالها مصنوعة من مادة الكيف، وأحدثت هذه المغامرة ثورة في الأسطول البحري لباقي بلدان أوروبا الغربية، إذ أنها أكدت أن الأشربة والحبال المصنوعة من خيوط الكيف، تمتاز بليونتها ومقاومتها للرطوبة والملوحة، وأصبحت معظم دول أوروبا الغربية تعرف انتشار زراعة الكيف لسد حاجياتها التي تزايدت مع الثورة الصناعية.

الكيف خلال العصر الحديث والمعاصر

ومع بداية القرن العشرين تزايدت حاجيات أوروبا إلى مادة الكيف خاصة مع الحروب العالمية الأولى والثانية، حيث أصبحت أوروبا في حاجة إلى المزيد من المواد الصناعية التي تعتمد على الكيف، لصناعة الأسلحة والأقمشة واستخراج المواد الطبية. مع نهاية الحرب العالمية الثانية إلى بداية الستينات أصبح الاهتمام بالكيف ذو طابع اجتماعي، حيث اتخذته المجموعات المناهضة للحروب وسيلة لإثارة الانتباه إلى احتجاجاتها. فمع بداية الستينات من القرن العشرين رفع جيل الهيبينشعار إباحة استهلاك الكيف، وكان في مقدمتهم نجوم الروك الأمريكيين والإنجليز وخاصة فرقة البيتلز، إلى جانب فرقة "رولينك ستون" Rolling Stones ساهمت هذه الموجات في إثارة الانتباه العالمي إلى المغرب وخاصة منطقة كتامة في الريف الأوسط، التي أصبحت قبلة الراغبين في استهلاك الكيف حيث تنفرد المنطقة بطبيعتها الجبلية وجودة منتوجها من نبات الكيف.

الكيف في تاريخ المغرب

تذهب بعض الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع، إلى أن إدخاله إلى المغرب يعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي، ويبدو أنه مع التوسعات الميركانتيلية أصبحت الموانئ المغربية تلعب دور الوساطة بين بلدان جنوب الصحراء والدول الأوربية، مما ساعد على انتشار زراعة الكيف في الجنوب المغربي، وتزايد انتشاره إبان العهد السعودي وساهم في ذلك استعماله من طرف بعض



الطرق الصوفية مثل "هداوة"، الأمر الذي دفع بالسعديين إلى تنظيم إحراقه خلال القرن الخامس عشر الميلادي. على الرغم من ذلك استمرت زراعة الكيف مع بداية العهد العلوي، وتذكر المصادر التاريخية أن السلطان مولاي علي سنة 1734، كان "مخبولا خبلا تاما" من شدة تناوله للكيف، كما أن أحد مستشاري سيدي محمد مات سنة 1772 نتيجة لمجونه ومبالغته في استهلاك الكيف. وحاول السلطان مولاي الحسن القضاء على الكيف بالمغرب فأصدر أمره بإحراق المزارع، وحسب المؤرخ الضعيف فإن السلطان مولاي اسليمان أصدر في 13 شوال 1814 الميلادي هو الآخر، مرسوما يأمر فيه بقطع طابا والكيف وإحراقها في كل بلد (الضعيف، ج. 2، ص. 586). وخلال أواسط القرن التاسع عشر احتكر المخزن المغربي، إنتاج وتصدير الطابا والكيف، الأمر الذي جعل زراعته تعرفا تقنيا قصد الاستفادة من مداخله، ويشير الدكتور "ل. رينو" أنه كان يوجد بالمغرب عدد كبير من مزارع القنب الهندي سيما بمنطقة سوس ومراكش، وأنه في سنة 1899 استهلكت مدينة الجديدة 2700 كلف من الكيف. ومع مطلع القرن العشرين ودخول المغرب عهد الحماية، ازدادت الأراضي المزروعة بالكيف في كل من الحوز وسوس. ويشير بول باسكون إلى أن التصدير من المغرب في اتجاه أوروبا، ارتفع من 100 طن سنة 1913 إلى 500 طن سنة 1920.

انحصار زراعة الكيف بمنطقة "صنهاجة سراير" منذ عهد الحماية

ومن أجل السيطرة على زراعة الكيف شرعت سلطات الحماية في إصدار قوانين، وهكذا صدر في 9 صفر الخير 1388 الموافق 1919/11/3، ظهير شريف يمنع أي كان من زراعة الكيف في المنطقة الفرنسية قبل نيله الرخصة بذلك من إدارة صاكة الدخان (ج.ر. عدد 342 بتاريخ 1919/11/17 ص. 736)، كما صدر سنة 1922 ظهير شريف لضبط استجلاب المواد السامة والاتجار فيها واستعمالها، ومن بينها مادة الكيف (ج.ر. عدد 504، بتاريخ 16 يناير 1923 ص. 30)، وفي 20 شعبان 1373 الموافق 24 أبريل 1954 صدر ظهير شريف يمنع بمنطقة الحماية الفرنسية من الإيالة الشريفة، حرق القنب الهندي أو قنب الكيف وكذا حصده وصناعته وتغيير حالته، واستخراج خلاصته وتهيبته ومسكه وعرضه وتوزيعه وسمسرتة، واشترائه وبيعه ونقله واستيراده



وإصداره واستهلاكه على أي وجه كان (ج.ر. عدد 2167، بتاريخ 1954/5/7، ص. 1363). بيد أنه على الرغم من هذه القوانين فإن زراعة واستعمال الكيف ظل في تزايد مستمر، الأمر الذي دفع بالسلطات الفرنسية إلى إصدار مرسوم رقم 2-56-038 بتاريخ 27 ذو القعدة 1375 الموافق ل 30 يونيو 1956، يقضي بإعطاء جوائز مالية للأعوان المكلفين بزجر ترويج مادة الكيف (ج.ر. عدد 2284 بتاريخ 1956/8/3 ص. 1300).

جدول 1: جرد للقوانين التي صدرت في شأن الكيف في الجريدة الرسمية

القوانين	السنة
في عهد الحماية	
ظهير شريف يمنع أيا كان من زراعة الكيف في المنطقة الفرنسية قبل نياله الرخصة بذلك من إدارة صاكة الدخان	9 صفر الخير 1388 الموافق 3- 11- 1919
لضبط استجلاب المواد السامة والاتجار فيها واستعمالها ومن بينها مادة الكيف	ظهير شريف 1922
فرضت السلطات الإسبانية على الفلاحين ضريبة الكيف، كان يطلق عليها ضريبة "خورو"	سنة 1945
يمنع بمنطقة الحماية الفرنسية من الإيالة الشريفة حرق القنب الهندي أو قنب الكيف وكذا حصده وصناعته وتغيير حالته واستخراج خلاصته وتهيبته ومسكه وعرضه وتوزيعه وسمسرتة واشترائه وبيعه ونقله واستيراده وإصداره واستهلاكه على أي وجه كان	20 شعبان 1373 الموافق 24 أبريل 1954
يقضي بإعطاء جوائز مالية للأعوان المكلفين بزجر ترويج مادة الكيف	مرسوم رقم 2-56-038 بتاريخ 27 ذو القعدة 1375 الموافق ل 30 يونيو 1956
بعد الاستقلال	
في تنظيم شراء عشبة الكيف من الفلاحين بواسطة شركة التبغ وإحراقها في سوق ثلاثاء كتامة	سنة 1958
يتعلق بزجر الإدمان على المخدرات السامة ووقاية المدمنين على هذه المخدرات	قانون رقم 1-73-132 صادر في 23 ربيع الأول 1394 الموافق 21 مايو 1974
التفكير في التدابير الرامية إلى تطبيق الاتفاقيات والبروتوكولات الدولية في ميدان المخدرات السامة والبحث عن الوسائل الكفيلة لتنظيم مكافحة المخدرات بالمغرب	رقم 2-77-626 بتاريخ 19 شوال 1397 الموافق 3 أكتوبر 1977
إنشاء وكالة تنمية الأقاليم الشمالية بمساعدة الاتحاد الأوروبي قصد الحد من انتشار زراعة الكيف	سنة 1995

وبعد حصول المغرب على الاستقلال صدر ظهير شريف بمثابة قانون رقم 1-73-132، صادر في 23 ربيع الأول 1394 الموافق 21 مايو 1974، يتعلق بزجر الإدمان على المخدرات السامة ووقاية المدمنين على هذه المخدرات، (ج.ر. عدد 3214 بتاريخ 1974/6/5 ص. 1525).



وفي سنة 1977 تم إحداث لجنة وطنية للمخدرات بموجب مرسوم رقم 626-77-2 بتاريخ 19 شوال 1397 الموافق 3 أكتوبر 1977، انكبت على التفكير في التدابير الرامية إلى تطبيق الاتفاقيات والبروتوكولات الدولية في ميدان المخدرات السامة، والبحث عن الوسائل الكفيلة لتنظيم مكافحة المخدرات بالمغرب، (ج.ر. عدد 3390 بتاريخ 19/10/1977 ص. 3036). بالرغم من هذه القوانين استمرت زراعة الكيف في المنطقة الشمالية، وساعد على ذلك تشجيع الإسبان أيام الحماية وكذا الخصوصيات الجغرافية الصعبة للمنطقة. وتشير كتب الرحلات الجغرافية التي زارت الريف الأوسط مع نهاية القرن التاسع عشر، إلى وجود الكيف في المناطق التي كان يصعب الوصول إليها، مثل بني عيسى بكتامة وبني خالد في غمارة، وفي سنة 1945 فرضت السلطات الإسبانية على الفلاحين ضريبة الكيف، كان يطلق عليها ضريبة "خورو".



صورة 4: بائع الكيف في سوق عمومي (من أرشيف د. خالد مونة)

ومع حصول المغرب على الاستقلال، عمدت السلطات المغربية إلى القيام بمحاولة القضاء على زراعة الكيف في الريف الأوسط، فشرعت في 1958 في تنظيم شراء عشبة الكيف من الفلاحين بواسطة شركة التبغ وإحراقها في سوق ثلاثاء كتامة، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل.



كما كانت هناك محاولة تعويض زراعة الكيف بإنشاء تعاونيات فلاحية، تقوم بنشاطات رعية وزراعية أخرى مع مطلع الثمانينيات من القرن العشرين، غير أنها هي الأخرى كان مآلها الفشل. وفي سنة 1995 تم إنشاء وكالة تنمية الأقاليم الشمالية بمساعدة الاتحاد الأوروبي، قصد الحد من انتشار زراعة الكيف، بيد أنه على الرغم من هذه المحاولات فإن المساحات المزروعة بالكيف في تزايد مستمر، في اتجاه المناطق المجاورة للشاون وتطوان وتاونات والحسيمة وتازة.

البيبلوغرافيا

- عبد الأحد السبتي، عبد الرحمان لخصاصي، **من الشاي إلى الأتاي العادة والتاريخ**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 25، 1999.
- **قانون المخدرات والمؤثرات العقلية**، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة نصوص ووثائق، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2002.
- MOULIERAS, **Le Maroc Inconnu**, t. I 1899, p. 94-113.
- L. RAYNAND, **Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc**, Alger, 1902, p. 105-110.
- B. BOUQUET, **Contribution à l'étude du chanvre Indien**, Fac. De la Médecine et de la pharmacie, thèse de doctorat, n. 65, 1912, p. 10-15.
- C. VANACKER, **Culture spécialisée**, Annales E.S.C, 3 mai-juin, 1973, p. 659-680.
- P. PASCON, **Le Haouz de marrakech**, Pub. CNRC et INAV, t. II ; Rabat, 1977, p.412 et 460.
- M. H. VERLONNE, **Le dossier vert d'une drogue**, E. R. Laffont, 1978.
- **Atlas Mondial des drogues**, observation géopolitique des drogues, Presse Universitaire de France, 1996.